لفظة (كذلك) في القرآن الكريم
دراسة دلالية سياقية

م . كريمة نوماس محمد المدنـــي
جامعة كربلاء / كلية التربية / قسم اللغة العربية

الخلاصة :
حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على لفظة من ألفاظ القرآن الكريم ، وهي لفظة (كذلك) ، ومعرفة الدلالات السياقية والمضمونية لها ، مستعينين لذلك بمجموعة من كتب التفسير القديمة والحديثة ، وجرى تقسيم البحث على وفق ما أفرزته دلالات سياقات (كذلك) في القرآن الكريم ، وقد تقدم تلك السياقات تمهيد تناولنا فيه تركيب (كذلك) ودلالتها عند النحويين ، وختم البحث بخاتمة ضمَّت أبرز النتائج التي توصل إليها .

Abstract :
We tried in this research to shed light on one of the holy Quran expressions that is "also" and knowing the contextual senses with their implication. We depended on a group of old and knew interpretations. The paper divisions was according to what context that "also" gave in the holy Quran . These contexts may present an introduction dealing with structure of "also" and its senses to the grammarians. The paper is ended with a number of conclusions.

المقدمة :
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء ، وعلى أهل بيته الأطهار النجباء ، وصحبه الأبرار ، ومن تبعهم بولاء ...
وبعد ؛
مما لا شك فيه استعمال القرآن الكريم الألفاظ على نحو مخصوص تتجلى فيه دقَّة الاختيار وروعته من جهة ، وتآصره وترابطه في السياق الموضوع فيه من جهة أخرى ، وهذه الصفة من الصفات الإعجازيَّة التي خُصَّ بها القرآن الكريم ، وهي واضحة للمتأمل والناظر .
فالسياق القرآني يعطي اللفظة بعدا دلاليا متميزا ، اذ تكمن أهمية السياق في تحديد المعني وتوجيهه ، فضلا عن كشفه وإيضاحه [1].
ولاريب في ان لكل مفردة معنى ، وهذا المعنى مرتبط بالمعنى السابق و اللاحق له في تركيب أو بناء متماسك موحد ، وبمجموع معاني الألفاظ تتكون علاقات سياقية تفرض دلالات يعطيها السياق [2].
ومن تلك الألفاظ التي جذبت النظر إليها ؛ لفظة (كذلك) منفردة ، أي من دون مجيء (الواو) قبلها ، إذ وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ستاً وثمانين مرَّة في سياقات دلالية متنوعة تشابهت في بعضها ، واختلفت في بعضها الآخر ، وقد حاولنا إبراز تلك السياقات بصورة واضحة موجزة ، مستعينين بمجموعة من التفاسير ؛ القديمة منها ، والحديثة ، بما يحقق كشفاً للدلالة وإنارة لفضاء النص .
واعتمدت خطة البحث على المعطيات الدلالية للفظة (كذلك) وسياقاتها التركيبية والموضوعية التي جاءت بها، وجرى تقسيم البحث على وفق ذلك، وقد سبق عرض الدلالات السياقية تمهيد تناولنا فيه تركيب (كذلك) ودلالتها عند النحويين ، وختم البحث بخاتمة ضمَّت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث .
ولا يسعنا إلا أن نشكر الله العلي العزيز الذي وفقنا لاختيار هذا الموضوع المتعلق بكتابه المبارك ، وهيّأ لنا أسباب إخراجه على هذا النحو ، وآخر قولنا قوله تعالى : ((لئن شكرتم لأزيدنَّكم)) .
والله من وراء القصد

التمهيد
كذلك : التركيب والدلالة عند النحويين
عند الرجوع إلى الكتب النحوية لمعرفة أصل (كذلك) نجد أنَّ جزأها الأكبر وهو (ذلك) في موضوع اسم الإشارة ، ونجد هذا الجزء أيضاً مقسَّماً على أجزاء ، فـ (ذا) للإشارة إلى المفرد المذكَّر عاقلاً أو غير عاقل ، فإذا ألحِقَت في أوله (ها) التنبيه فدلّ على القربى (هذا) ، وإذا ألحِقَت في آخره كاف الخطاب (ذاك) فدل على الوسطى بين القريب والبعيد ، أما للبعدى فيكون باستعمال اللام والكاف في آخره فتكون (ذلك)[3] ، واللام هنا للبعد ، ولا يصح أن توجد (لام البعد) إلا بمتابعة الكاف لها[4].

وذهب بعض النحويين إلى أنَّ للإشارة مرتبتين فقط ؛ قريبة ، ومتراخية ، فإذا أرادوا القرب جاؤوا بذا ، أو بهذا ، وإن لم يريدوا القرب جاؤوا بالكاف وحدها ، أو باللام معها ، فيقال : ذاك ، أو ذلك ، وقالوا : إنَّه لا فرق بين ذاك وذلك ، إنما هما لغتان ، فـ (ذلك) باللام لغة الحجاز ، و (ذاك) من دون لام لغة تميم[5] .

ولم يعتد الدكتور فاضل السامرائي بهذا التقسيم ، ومال « إلى ما ذهب إليه الجمهور من أنَّ مراتب الإشارة ثلاث ، وذلك لأمور منها : إنَّ زيادة أحرف الكلمة توحي بزيادة التراخي ، فذا للقرب ، وذاك للمتوسط ، وذلك للبعد .... »[6] .

ومهما يكن من أمر فإنَّ (كاف الخطاب) الملحقة باسم الإشارة لها وجهان : الأول : مطابقة الكاف للمخاطب إفراداً ، وتثنية ، وجمعاً ، وتذكيراً ، وتأنيثاً ، فتقول : ذلكَ بفتح الكاف إذا كنت مخاطباً ذكراً ، وذلكِ بكسر الكاف لخطاب الأنثى ، وذلكما وذلكم وذلكن ، وهكذا [7].

وهذا الأمر لا يتعارض مع إلحاق كاف التشبيه في أوّل (ذلك) ، فنجد في قوله تعالى في خطاب مريم (عليها السلام) : ((**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هو علىَّ هين..**)) [8] ونجد الجمع أيضاً في قوله تعالى : ((**كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ**))[9] ، وهذا الأمر قليل فيما يتعلق باتصال كاف التشبيه بـ (ذلك) في القرآن الكريم بحسب ما أحصي لها من نماذج .

أما الوجه الثاني فهو إفراد الخطاب وتذكيره على كل حال ، فتقول : ذلك بفتح الكاف للمفرد ، والمثنى ، والجمع ، للمذكر والمؤنث[10] ، وقد استعملها القرآن الكريم أيضاً مع دخول كاف التشبيه في أولها ، وهذا الوجه هو الغالب في (كذلك) بحسب ما أحصي لها من نماذج .

وإذا عرجنا على دخول كاف التشبيه على (ذلك) ، فإنها ستدل على إفادتها التشبيه ، ومعناه (مثل ذلك) ، تقول : هذا الرجل كذلك الرجل ، فالمشار إليه مذكور ، وقد يحذف ، وذلك في نحو قوله تعالى : ((**قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**))[11] ، أي مثل ذلك الفعل يفعلون ، وهذا الأمر نلمسه في كثير من سياقات (كذلك) في القرآن الكريم .

ويشير الدكتور فاضل السامرائي إلى ورودها بمعنى (أيضاً) ،وذلك نحو قولك : (أنت ضربت خالداً وسرقت ماله كذلك) ، فيعلق قائلاً : « فلا أرى ههنا معنى للتشبيه ، إذ لا يصح أن يراد : وسرقت ماله كذلك الضرب ، إنما هو بمعنى أيضاً »، ثمَّ يقول : « ومن هذا فيما يبدو لي من قوله تعالى : ((**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ . كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**))[12] ، فلا أرى في هذا معنى للتشبيه وإنما المعنى كما يبدو ، وزوجناهم بحور عين أيضاً »[13] . وقد انفرد الدكتور السامرائي بهذا الرأي ، ثمَّ وضح فكرته في ذلك بقوله : « والظاهر إنَّ معناها القديم - يعني كذلك – يفيد التشبيه ، لأنَّ طبيعة تركيب العبارة تدل على ذلك ، ثمَّ انتقل إلى معنى (أيضاً) ، والتراكيب قد تنتقل معانيها ... والذي سهل انتقال معناها أن كثيراً مما يفيد التشبيه تتضمن معنى (أيضاً)، وذلك كقولك : (فعل محمد كذلك الفعل) ، أي إنَّ أحداً فعل فعلاً معيناً ، وأنَّ محمداً فعل أيضاً فعلاً شبيهاً بفعله ، وقولك : (أكرمت محمداً وخالداً كذلك) ،والمعنى أنك أكرمت محمداً وأكرمت خالداً أيضاً مثل إكرام محمد ، ثم انتقل معنى التركيب في قسم من العبارات إلى معنى (أيضاً) ، وانفك عن معنى التشبيه الذي كان يلازمه ، والله أعلم »[14].

والذي يجدر التنبيه إليه من خلال ما ذكر أنَّ دلالة (كذلك) ليست للتشبيه فحسب ، وإنما قد تتعدى إلى معانٍ جديدة من ضمنها ما أشار إليه الدكتور السامرائي من حيث دلالتها على معنى (أيضاً) ، فضلاً عما سيوضحه البحث من دلالات سياقية أخرى مرصودة .

وكذلك يدل على أنَّ تعامل النحويين معها على أساس دلالتها على التشبيه لمجرَّد اقتران كاف التشبيه بها ، في حين أنها تركيب لا يمكن أن نغفل تأثير اسم الإشارة (ذلك) على التركيب العام (كذلك) فإننا سنجد من المفسرين من يشير إلى صور معيَّنة من إعراب (كذلك) ، وفراده الكاف من (ذلك) ، وبعضهم يرجح اسم الإشارة وهيمنة دلالته على السياق فضلاً عن دلالتها العامة على التشبيه والمثليَّة .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يتضح فقر الدراسات القديمة النحوية والبلاغية في معرفة دلالات (كذلك) السياقية ، ومن خلال الاطلاع على ما قاله المفسرون – وهم أهل الخبرة والدراية في أساليب القرآن الكريم – نجد أنَّ بعضهم يسكت عن ذكر دلالة هذا التركيب (كذلك) ، ويتعامل معه على أساس هامشي ليس له دور في معنى السياق .

ومن أجل ذلك كرّس هذا البحث لتتبع دلالة (كذلك) السياقية في القرآن الكريم معتمدين على ما قاله المفسرون القدامى والمحدثون في هذه الآية أو تلك التي وردت (كذلك) في سياقاتها ، وكان المنهج الوصفي هو المعتمد في الدراسة مستنتجين ما يمكن استنتاجه في الوصول إلى الدلالات السياقية لهذا التركيب (كذلك) .

الدلالات السياقية لـ (كذلك) في القرآن الكريم

1- من أولى الدلالات السياقية الملحوظة في الآيات التي وردت فيها (كذلك) هو لإزالة التعجب والاستغراب، وكانت حكاية لما قاله الملك عن الله سبحانه في ثلاث قصص تشابهت في عناصر عدَّة كان من أهمها البشارة بالولد أو الغلام على غير مجرىالعادة الطبيعية ، وتمثلت بقصتي مريم وزكريا (عليهما السلام) اللتين وردتا بصورة متتابعة في سورتي مريم وآل عمران ، وتمثلت الثالثة بقصة (إبراهيم) عليه السلام التي وردت في سورة الذاريات .

قال تعالى على لسان مريم (عليها السلام) بعد أن بشَّرها الملك بالولد : ((**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**))[15] ، وقالت لمّا بشرها بالغلام : ((**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً . قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً**))[16] . قال الطبرسي : « قالت مريم يا (رب أنى يكون) أي : كيف يكون (لي ولد ولم يمسسني بشر) لم تقل ذلك

استبعاداً واستنكاراً ، بل إنما قالت استفهاماً واستعظاماً لقدرة الله ، لأنَّ في طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد ، وقيل : إنما قالت ذلك لتعلم أن الله تعالى يرزقها الولد وهي على حالتها ، لم يمسها بشر او يقر لها زوج ثم يرزقها الولد على مجرى العادة ، (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) ، أي : يخلق ما يشاء مثل ذلك ، وهو حكاية ما قال لها الملك ، أي : يرزقك الولد وأنت على هذه الحالة ، لم يمسك بشر »[17] .

وقال الطبري : « ... قالت مريم إذ قالت لها الملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه: ربِّ أنى يكون لي ولد : من أي وجه يكون لي ولد ؟ أمن قبل زوج لم أتزوجه وبعل أنكحه ؟ أو تبتدئ في خلقه من غير بعل ولا فحل ، ومن غير أن يمسني بشر ؟ فقال الله لها : (كذلك يخلق الله ما يشاء) يعني : هكذا يخلق الله منك ولداً من غير أن يمسك بشر ، فيجعله آية للناس وعبرة ، فإنه يخلق ما يشاء ، ويصنع ما يريد ، فيعطي الولد من شاء من غير فحل ومن فحل ، ويحرم ذلك من يشاء من النساء ، وإن كانت ذات بعل ، لأنَّه لا يتعذّر عليه خلق شيء أراد خلقه ، إنما هو يأمر إذا أراد شيئاً ما أراد ، فيقول له كن فيكون ما شاء مما يشاء ، وكيف شاء »[18] ، وقال أيضاً مفسراً قوله تعالى : (قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيِّن) : « يقول تعالى ذكره : قال لها جبريل : هكذا الأمر كما تصفين ، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغياً ، ولكن ربك قال : هو عليَّ هيِّن : أي خلق الغلام الذي قلت أن أهبه لك علي هين لا يتعذّر عليَّ خلقه وهبته لك من غير فحل ... »[19] .

ووجد السيد الطباطبائي في (كذلك) كلاماً تاماً أريد به رفع اضطراب مريم وتردد نفسها ، فهو يقول مفسراً قوله تعالى: (قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيِّن) : « يفيد أن يكون قوله تعالى ههنا كذلك كلاماً تاماً تقديره الأمر كذلك ، ومعناه إنَّ الذي بشرت به أمر مقضي لا مردَّ له ، وأما التعجب من هذا الأمر فإنما يصح لو كان هذا الأمر مما لا يقدر عليه سبحانه أو يشق ، أما القدرة فإن قدرته غير محدودة يفعل ما يشاء ، وأما صعوبته ومشقته فإنَّ العسر والصعوبة إنما يتصوّر إذا كان الأمر مما يتوسل إليه بالأسباب ، فكلما كثرت المقدمات والأسباب وعزَّت وبعد منالها اشتدَّ الأمر صعوبة ، والله سبحانه لا يخلق ما يخلق بالأسباب بل إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . فقد ظهر أنَّ قوله (كذلك) كلام تام أريد به رفع اضطراب مريم وتردد نفسها ، وقوله (الله يخلق ما يشاء) رفع العجز الذي يوهمه التعجب = قوله (إذا قضى) ، رفع لتوهم العسر والصعوبة »[20].

ورأى الطباطبائي أيضاً في قوله : (كذلك) أنها « خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير كائن لا محالة ، وفيه إشارة إلى كونه من القضاء المحتوم الذي لا ريب في وقوعه نظير ما ذكره الروح في جواب مريم على ما حكاه الله تعالى : (قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيِّن) ... إلى أن قال : (وكان أمراً مقضياً) ... وإنَّ قوله (الله يفعل ما يشاء) كلام مفصول في مقام التعليل لمضمون قوله كذلك ... »[21] .

ولم يختلف قول زكريا عن قول مريم (عليهما السلام) عندما بشَّره بالغلام فجاء قوله في القرآن الكريم : ((**قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**)) [22]، وقوله : ((**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً**)) [23] .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره : « قال الله لزكريا مجيباً له قال كذلك يقول : هكذا الأمر كما تقول من أن امرأتك عاقر ، وأنك قد بلغت من الكبر العتي ، ولكن ربك يقول : خلق ما بشرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى هو عليَّ هيّن ، فهو إذن من قوله : (قال ربك هو عليَّ هيِّن) كناية عن الخلق ، وقوله : (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) يقول تعالى ذكره : وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره مع كبر سنك ، وعقم زوجتك بأعجب من خلقك ، فإني خلقتك فأنشأتك بشراً سوياً من قبل خلقي ما بشرتك باني واهبه لك من الولد، ولم تك شيئا، فكذلك اخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر ، مع عتيك ووهن عظامك ، واشتعال شيب رأسك ..»[24] .

ورأى الشيخ الطوسي في مخاطبة زكريا (عليه السلام) ربه بهذا الشأن أنه « راجع ليعرف على أي حال يكون ذلك أيردّه إلى حال الشباب وامرأته ، أم مع الكبر ، فقال الله تعالى : (كذلك الله يفعل ما يشاء) أي على هذه الحال ، وتقديره : كذلك الأمر الذي أنت عليه (يفعل الله ما يشاء) ... وقيل في وجه آخر ، وهو أنه قال على وجه الاستعظام لمقدور الله والتعجب الذي يحدث للإنسان عند ظهور آية عظيمة من آيات الله ، كما يقول القائل : كيف سمحت نفسك بإخراج الملك النفيس من يدك تعجباً من وجوده ، واعترافاً بعظمه ، وقال بعضهم : إن ذلك إنما كان للوسوسة التي خالطت قلبه من قبل الشيطان حتى خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكة ، وهذا لا يجوز ، لأن النداء كان على وجه الإعجاز على عادة الملك فيما يأتي به من الوحي عن الله ، والأنبياء (عليهم السلام) لا يجوز عليهم تلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الإفهام ، فلا يعرفوا نداء ملك من نداء شيطان أو إنسان »[25] .

ورأى الزمخشري في قوله تعالى : ((أنّى يكونُ لي غلامٌ)) استبعادًا من حيث العادة ، وقارنه بما قالت مريم (عليها السلام) ، وقول زكريا (وقد بلغني الكبر) كقولهم : أدركته السن العالية ، والمعنى أثر فيَّ الكبر فأضعفني ، وكانت له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون (كذلك) أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل ، وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر !! ، وكذلك الله : مبتدأ وخبر ، أي على نحو هذه الصفة الله ، ويفعل ما يشاء بيان له أي : يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات[26] .

ورأى الزمخشري أيضاً في (كذلك) الواردة في سورة مريم في قصة زكريا أن الكاف فيها رفع ، أي : الأمر كذلك ، تصديق له ثم ابتدأ : قال ربك ، أو نصب ، فقال : أي قال كذلك ، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو عليَّ هيّن [27] .

وذهب السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ((**قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً**)) مذهباً تركيبياً دلالياً ، فقد رأى في هذه الآية جواباً عمّا استفهمه زكريا واستفسر لتطيب به نفسه ، ويسكن جأشه ، وضمير قال راجع إليه تعالى ، وقوله (كذلك) مقول القول ، وهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير (هو كذلك) أي الأمر واقع على ما أخبرناك به في البشرى لا ريب فيه . وقوله : (قال ربك هو عليَّ هين) مقول شأن لقال الأول ، وهو بمنزلة التعليل لقوله (كذلك) يرتفع به أي استعجاب فلا يتخلف عن إرادته مراد وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن ، فخلق غلام من رجل بالغ في الكبر وامرأة عاقر هين سهل عليه[28] .

وكذلك رأى السيد الطباطبائي تواشجاً دلالياً بين قصة زكريا في سورتي مريم وآل عمران ، فقال متواصلاً لتفسيره للآية السابقة : « وقد وقع التعبير عن هذا الاستفهام ، والجواب في سرد القصة من سورة آل عمران بقوله : ((**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**)) فقوله : (هو عليَّ هين) ههنا يحاذي قوله هناك (الله يفعل ما يشاء) وهو يؤيد ما قدمناه من المعنى ، وقوله ههنا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) بيان لبعض مصاديق الخلق الذي يرفع به الاستعجاب .. وفي الآية وجوه أخرى تعرضوا لها ، منها : ان قوله (كذلك) متعلق بقال الثاني ، ومجموع الجملة هو الجواب ، والمراد أمر ربك بذلك ، وقضى كذلك ، وقوله : (هو عليَّ هيّن) مقول آخر للقول أو أنه جيء به على سبيل الحكاية ، ومنها أنَّ الخطاب في قوله : (قال ربك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا لزكريا عليه السلام ، وتلك وجوه لا يساعد عليها السياق »[29] .

وذهب الشوكاني في تفسيره قصة زكريا الواردة في سورة مريم انَّ الله سبحانه وتعالى قد أجاب على سؤال زكريا المشعر بالتعجب والاستبعاد بقوله : (قال كذلك قال ربك) فـ « الكاف في محل رفع ، أي : الأمر كذلك ، والإشارة إلى ما سبق من قول زكريا ثمَّ ابتدأ بقوله : قال ربك ، ويحتمل أن يكون محله النصب على المصدرية ، أي قال قولاً مثل ذلك ، والإشارة بذلك إلى مبهم يفسره قوله (هو عليّ هيّن) ... »[30] .

كذلك وجد الشوكاني في قصة مريم وقوله تعالى : (قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيّن) « جملة مستأنفة ، والقائل : الملك ، والكلام فيها كالكلام فيما تقدَّم من قول زكريا ... »[31] .

وهذا الأمر يدل على تماثل دلالي بين القصتين ، والروابط التركيبية التي تربطهما ، وبخاصة لفظة (كذلك) اللفظة المحورية في السياق الذي وردت فيه القصتان .

ولم تختلف أجواء قصة إبراهيم (عليه السلام) عن أجواء قصتي مريم وزكريا عليهما السلام من حيث البشارة بشارة الملائكة لإبراهيم بالغلام ، ومن حيث عدم توافر الأسباب الطبيعية للحمل والولادة ، ومن حيث رفع الاستبعاد والتعجب بقوله تعالى : (كذلك قال ربك) .

وردت هذه القصة في سورة الذاريات ، قال تعالى : ((**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ . قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**))[32] .

فنلحظ ان التعجب والاستغراب لم يبدُ على إبراهيم (عليه السلام) ، وانما على زوجه سارة (عليها السلام) التي أقبلت في صرَّة أي صيحة ، فصكت وجهها أي ضربته أو لطمته تعجباً واستغراباً وقالت : أنا عجوز عقيم كيف ألد ؟ فقالت الملائكة عند ذلك لها (كذلك) أي مثل ما بشرناك به (قال ربك) ما بشرناك به فلا تشك فيه إنه (هو الحكيم) في أفعاله (العليم) بخفايا الأمور لا يخفى عليه خافية ، والمعنى العام كما ذهب الطوسي في تفسيره : كما أن أخبارنا بشارتنا لا شك فيه كذلك قال الله ما بشرناك به[33] . وقريب من هذا ما ذهب إليه الطبرسي في تفسيره ، إذ قال في قوله (قالوا كذلك قال ربك) أي : « كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاماً ، فلا تشكي فيه »[34] .

ورأى ابن جرير الطبري في قوله تعالى : (قالوا كذلك قال ربك) انها بمعنى (هكذا قال ربك) ، أي : كما أخبرناك وقلنا لك ...[35] .

ووجد السيد الطباطبائي في تفسيره أنَّ (كذلك) « إشارة إلى ما بشروه به بمالها ولزوجها من حاضر الوضع : هي عجوز عقيم وبعلها شيخ مسه الكبر ، فربها حكيم لا يريد ما يريد إلا بحكمة ، عليم لا يخفى عليه وجه الأمر »[36] .

و لم نجد من المفسرين – في حدود إطلاعنا القاصر – من حاول رصد التماثل التركيبي والدلالي بين تفاصيل قصة إبراهيم (ع) من جهة وقصتي زكريا ومريم عليهما السلام من جهة أخرى الأمر الذي آثرنا تسجيله في هذا البحث .

ويتضح مما مرَّ ذكره أنَّ (كذلك) لفظ محوري فعال في تركيب النص وسياقاته الدلالية ، فخرج عن كونه أداة تشبيهية مجردة أو جامدة تربط بين صورتين أو طرفين إلى ركيزة تركيبية دلالية لا يستقيم المعنى إلا بها ، وهذا من عظيم بلاغة القرآن وقدرته .

2- أما السياق الآخر الذي وردت فيه (كذلك) فهو : الجزاء ، إذ ورد هذا التركيب في سياق الجزاء ، جزاء فئتين متضادتان تتقابلان : الفئة الأولى من الجزاء يشمل : المحسنين ، الشاكرين ، المتقين ، وغالباً ما يأتي في إطار قصص ألأنبياء (عليهم السلام) إذ يكون بمنزلة الثواب على أعمالهم التي قاموا بها فاستحقوا جزاء الإحسان والشكر من الله تعالى ، وكانت مثلاً – في الوقت نفسه – يضرب للناس كي يقتدوا بأعمالهم تلك .

أما الفئة الثانية من الجزاء فيشمل : الظالمين ، المجرمين ، الكافرين ، وغالباً ما يأتي في إطار العقاب الإلهي للذين لم يطيعوا أو يصدقوا أنبياء الله ورسله لمّا جاؤوهم بالبينات ، فكان جزاؤهم من الله جزاء انتقام وعقاب ، وكانت – في الوقت نفسه – مثلاً تحذيرياً يضرب للناس كي يتجنبوا عقاب الله تعالى .

ونتلمّس من خلال التفاسير دلالة (كذلك) في قوله تعالى : ((**كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**))[37] التي وردت ست مرات في القرآن الكريم ، مجموعة من الدلالات ، منها دلالتها على المثلية ، أي (مثل ذلك) كما جاء في تفسير الطوسي لقوله تعالى : ((**سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**))[38] ، إذ قال : « ... ثمَّ أخبر تعالى ان مثل ما فعل لهما يفعل بالمحسنين المطيعين ويجزيهم بمثل ذلك على طاعاتهم ودل ذلك على ما ذكره الله كان على وجه الثواب على الطاعات لموسى وهارون ، ومن تقدَّم ذكره ، لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك »[39] .

وردت لفظة (كذلك) بمعنى التشبيه بالأداة (الكاف) ، وذلك في تفسير ابن جرير الطبري لقوله تعالى : ((**سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**))[40] إذ قال : « يقول تعالى ذكره : إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا فأنجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين ، وأبقينا عليه ثناء في الآخرين كذلك نجزي الذين يحسنون فيطيعوننا ، وينتهون إلى أمرنا ، ويصبرون على الأذى فينا »[41] .

وفي قصة ذبح إبراهيم (عليه السلام) لابنه ومجازاة الله سبحانه وتعالى بكبش عظيم بدلاً عن أن يذبح ابنه ، ورضىً منه على فعله ، قال تعالى : ((**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**))[42] ، قال ابن جرير الطبري في تفسيره : (**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**) : « يقول تعالى : إنا كما جازيناك بطاعتنا يا إبراهيم ، كذلك نجزي الذين أحسنوا ، وأطاعوا أمرنا ، وعملوا في رضانا »[43] ، فهو يشبه الوعد الذي قطعه الله على نفسه من الجزاء الجميل على كل عمل حسن يفعله الإنسان في دنياه .

ووجد السيد الطباطبائي في تفسيره الآية نفسها في قصة نوح عليه السلام تعليلاً لما منَّ عليه من الكرامة كإجابة لدائه وتنجيه وأهله من الكرب العظيم وإبقاء ذريته وتركه عليه في الآخرين والسلام عليه في العالمين ، ورأى فيها أيضاً تشبيهاً جزاءه بجزاء عموم المحسنين من حيث أصل الجزاء الحسن لا في خصوصياته ، فلا يوجب ذلك اشتراك الجميع فيما اختص به عليه السلام وهو ظاهر [44].

ورأى في (كذلك) الواردة في قصة الذبح المتقدمة أنها إشارة بما أنها محنة شاقة وابتلاء شديد ... والمعنى : إنا على هذه الوتيرة نجزي المحسنين فنمتحنهم امتحانات شاقة ... فإذا أتموا البلاء جزيناهم أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة ، وذلك لأن الذي ابتليناه به إبراهيم لهو البلاء المبين[45] .

ورأى السيد الطباطبائي في قوله تعالى : (**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**) الواردة في سياق قوله تعالى : ((**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ . وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**))[46] تسجيلاً لسعادة هؤلاء المتقين الذين عملوا الخيرات ,أطاعوا الله تعالى فنالوا رضاه[47] .

والذي نلحظه مما تقدم أنَّ وقوع (كذلك) في تركيب عبارة (**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**) قد أعطى دلالات متنوعة ما كان يعطيها لفظ آخر لو حلَّ مكانه ، فضلاً عن خروج (كذلك) من دلالتها العامة أو المركزية على التشبيه والمثلية إلى دلالات أوسع وأكبر وأدق أعطاه السياق الذي وردت فيه .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ جزاء الله لم يكن يشمل المحسنين وحدهم ، ,إنما شمل أيضاً من شكر من عباده ، قال تعالى : ((**نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ**))[48] ، وكذلك المتقين قال تعالى : ((**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[49] . ولم تختلف (كذلك) في هذه السياقات دلالياً عن الدلالات التي مرَّ ذكرها .

أما جزاء الفئة الثانية المتمثلة بالقوم المجرمين والكافرين والظالمين فقد جاءت أيضاً بدلالات متقاربة كان أهمها دلالتها على المثليَّة ، ففي سياق قصَّة النبي هود (عليه السلام) الذي بعثه الله إلى قوم عاد ، فقد كذبوه فأرسل الله عليهم العذاب الأليم ثمَّ أخبر الله تعالى بعد ذلك بقوله : ((**كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِيْنَ**))[50] ، قال الشيخ الطوسي : « كذلك ، أي مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف ، وجازيناهم بالعذاب (نجزي القوم المجرمين) الذين سلكوا مسلكهم »[51] ، وزاد الطبرسي تعريفاً بالمجرمين بقوله : أي الكافرين[52] ، وذهب القرطبي في تفسيره الآية نفسها بقوله : « أي مثل هذه العقوبة تعاقب بها المشركين »[53] .

أما قوله تعالى : ((**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**))[54] الواردة فيه (كذلك) ، فقد دلَّ دلالات متنوعة تبعاً لسياق المتمركز فيه ، فدلَّ على المثلية في تفسير الطوسي ، إذ قال : « أي نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذ استحقوا وكانوا ممن لا يؤمن ولا يصلح »[55] ، ورأى فيها ابن جرير الطبري تشبيهاً ، إذ قال : « كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم وتكذيبهم رسلهم وردهم نصيحتهم ، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبهم رسولكم محمداً (ص) ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم إن أنتم لم تنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم »[56] .

ومن هنا رأى فيها الطبرسي دلالة على المستقبل ، إذ قال « كذلك نعذب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم ، وعلمنا أنهم لا يؤمنون ولا يصلحون »[57] .

وذهب السيد الطباطبائي في تفسيره (**كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**) إلى أنه أعطت « ضابطاً كلياً في مجازاة المجرمين بتشبيه الكلي بالمفرد الممثل به ، والتشبيه في الشدة ، أي : إن سنتنا في جزاء المجرمين على هذا النحو الذي قصصنا من

الشدة .... »[58] ، ورأى فيها أيضاً التفاتاً آخر بتوجيه الخطاب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والنكتة فيه أنه « إخبار عن السنة الإلهية في أخذ المجرمين ، والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو الأهل لفهمه والإذعان بصدقه دونهم ، ولو أذعنوا بصدقه لآمنوا به ولم يكفروا ، وهذا بخلاف قوله : (**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ .... وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم**) فإنه خبر تاريخي لا ضير في تصديقهم به »[59] .

وفهم القرطبي طبيعة هذا الجزاء بأن يكون الطبع على قلوبهم مناظراً قوله : (**كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**) دليلاً على ذلك .

أما قوله تعالى : (**كَذَلِكَ نَجْزِي الظالمين**)[60] الواردة في سورة يوسف عليه السلام ، فقد وردت في سياق جزاء من وجد صواع الملك في رحله ، وكان الجزاء هو الاسترقاق ، ففسرها الطوسي على أنها : « إخبار منهم بأن ذلك عادتهم في مجازاة كل ظالم . وقد قيل : في تأويل الآية وجهان : أحدهما : أن يكونوا في ذلك على شرع نبي من أنبياء الله ، والآخر : أن يكون ذلك على عادة الملوك في أهل الجنايات لمصالح العباد لا على حقيقة الجزاء الذي يعمل بأمر الله بدلالة قوله فيما بعد (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) فأضاف الجزاء إلى دين الملك دون الله »[61] .

أما قوله تعالى : (**كَذَلِكَ نَجْزِي الظالمين**)[62] الوارد في سورة ألأنبياء ، فقد وردت في سياق قول القائلين من اتخاذ الله ولداً فحذرهم من ذلك بقوله : ((**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَـهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**)) فسرها الطوسي بقوله : « معناه مثل ما جازينا هؤلاء نجزي الظالمين أنفسهم يفعل المعاصي »[63]

وهكذا يتبين أنَّ للسياق انعكاسا مهما على طبيعة المعنى المستنبط منه ، فكانت العبارة القرآنية مستوعبة لهذه التأويلات مدلّة في الوقت نفسه عن النظم الاعجازي للقرآن الكريم ، وكانت (كذلك) ركناً أساسياً في تلك العبارة الواردة فيها سواء في سياق جزاء المحسنين أو جزاء المجرمين .

وتجدر الإشارة إلى وجود عبارات مقاربة إلى ذلك مثلت جزاء الله وفعله فيمن ظلم وكفر ، من ذلك قوله : ((**كَذَلِكَ جزاءُ الكافِرِيْنَ**))[64] وقوله : ((**كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**))[65] ، وقوله : ((**كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِيْنَ**)) **(66)** ، وقوله : ((**إنّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِيْنَ**))[67] ، ولم تبتعد دلالاتها عن الدلالات السابقة الذكر .

3- ومن السياقات التي رصدت لـ (كذلك) وقوعها أداة تشبيهية رابطة بين صورتين ، الأولى رمز الحياة وكيفية نشوئها من الماء النازل من السماء ، والصورة الثانية تمثل الخروج والنشور ، أي البعث والمعاد ، الصورة الأولى مفصلة بعض الشيء ، أما الثانية فمركزة ، والصورتان معًا تمثلان ضرباً للمثل على سبيل البرهان والاستدلال .

قال تعالى : ((**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ . رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**))[68] .

لقد جاءت (كذلك) في هذا الموضع أداة للتشبيه ،قال الطبري في تفسير هذه الاية « يقول تعالى كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة ، فأحييناه به ، فأخرجنا نباتها وزرعها ، كذلك نخرجكم يوم القيامة من قبوركم بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء »[69] ،ورأى ابن كثير ان هذا الأمر مثال ضربه الله « للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحيي الموتى ، وهذه المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث »[70] ،ووجد الشوكاني في جملة (كذلك الخروج) استئنافا لبيان « أنَّ الخروج من القبور عند البعث كمثل الإحياء الذي أحيا الله به الأرض الميتة »[71] ، وهي بمنزلة الجواب لقولهم : « أ إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد »[72] ، فقد وقعت « الكاف في (كذلك) في محل رفع على الابتداء»[73] .

ولم يختلف موقعها السياقي كثيراً في قوله تعالى : ((**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**))[74] . والملاحظ على هذه الآية الإيجاز في الصورة ألأولى إذا ما قورنت بالصورة الأولى من المثال الأول ، ولكن دلالتها ظلت متقاربة ، فـ « قوله تعالى : (**فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً**) ، أي أحييناها بعد أن كانت ميتاً بالقمل والجفاف ... ثمَّ قال : (**كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**) أي مثل ما أخرج النبات من الأرض اليابسة فأحييناها بالنبات مثل ذلك خروجكم من القبور بعد موتكم »[75] . وقد استدل « بنزول الماء بقدر وإحياء البلدة الميتة على خلقه وتدبيره استنتج منه أمر آخر لا يتم التوحيد إلا به وهو المعاد الذي هو رجوع الكل إليه تعالى ، فقال : (**كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**) ، أي كما أحيا البلدة الميتة كذلك تبعثون من قبوركم »[76] .

أما الآية الأخرى محل الشاهد ، قوله تعالى : ((**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**))[77] فجاءت أيضاً متقاربة دلالياً مع الآيات المتقدمة للإشارة إلى ضرب المثل والتشبيه ، فكما يحيي الله العباد بعد موتهم أحيا الأرض بعد موتها ، وجاءت كاف (كذلك) في محل رفع على الخبرية أي مثل إحياء أموات الأرض إحياء الأموات ، فلا مجال بعد ذلك إلى إنكار البعث ، وقد شاهدتم هذه المناظر أكثر من مرة [78]، فكذلك النشور أي البعث والإحياء [79].

وهذا الأمر أكده حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سئل عن كيفية إحياء الله الموتى ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) مجيباً السائل : « أما مررت بأرض مجدبة ثم مررت بها مخصبة تهتز خضراء ، قال : بلى ، قال كذلك يحيي الله الموتى وكذلك النشور »[80] ، وروي أنه « إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم »[81] .

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم كثيراً ما يستدل على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها ، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات ما فيها فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها ((**اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**))

كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطراً يعم الأرض جميعاً ونبتت الأجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الأرض ، ولهذا جاء في الصحيح : (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب من خلق ومنه يركب) ، ولهذا قال تعالى : (**كَذَلِكَ النُّشُورُ**)[82] .

وهذه الروايات توضح بجلاء أنَّ للإخراج والنشور صورة مرسومة في ذهن المتلقي ، وهذه الصورة متقاربة إلى حد بعيد مع الصورة الأولى ، ولكن القرآن أبقى الأولى واضحة مفصلة ، وأوجز الثانية التي أوضحتها الروايات السالفة بشكل مفصل .

4- وردت (كذلك) مع الفعل (يبين) في سياق تبيين الأحكام الشرعية وحدودها من لدن الله تعالى ، أو إخبار عن السنن الإلهية في الخلق ، وقد شفعت عبارتها (كذلك يبين الله لكم الآيات) ، أو (آياته) بـ (لعلكم) ، وقد وجهت إلى البشر بمدلولات وغايات مطلوبة ، وهي : تعقلون ، تتفكرون ، تشكرون ، تتقون ، تهتدون . أو بالإشارة إليه تعالى بالعلم والحكمة .

فمن دلالتها على ذلك في قوله تعالى : ((**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**))[83] قال الطبري : « يقول تعالى ذكره : كما بينت لكم ما يلزمكم لأزواجكم ويلزم أزواجكم لكم أيها المؤمنون ، وعرفتكم أحكامي والحق الواجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات ، فكذلك أبين لكم سائر الأحكام في آياتي التي أنزلتها على نبيي محمد (صلى الله عليه وسلم) في هذا الكتاب ، لتعقلوا أيها المؤمنون بي وبرسولي حدودي ، فتعينوا اللازم لكم من فرائضي ، وتعرفوا بذلك ما فيه صلاح دينكم ودنياكم وعاجلكم وآجلكم فتعلموا به ، ليصلح ذات بينكم ، وتنالوا به الجزيل من ثوبي في معادكم »[84] .

ورأى القرطبي في تفسيره العبارة السابقة الواردة في سورة النور فصل الكاف عن (كذلك) فـ (الكاف ..) كاف التشبيه ، و (ذلك) إشارة إلى هذه السنن ، ثمَّ أعقب بجمعهن فقال : « أي كما بين لكم سنة دينكم في هذه الأشياء يبين لكم سائر ما بكم حاجة إليه في دينكم »[85] .

ورأى الطوسي في تفسيره العبارة الواردة في سورة البقرة : الآية 242 أنّها تشبيه بقوله : « كذلك يبين الله ، ووقع البيان الذي تقدم في الأحكام ، والحجاج والمواعظ والآداب ، وغير ذلك مما يحتاج إلى عمله ، والعمل عليه في أمر دينهم ودنياهم شبه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي ... »[86] .

ووجد السيوطي في تفسير قوله تعالى : (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تعقلون**)[87] أنها مثل ضربه الله فاعقلوا عن الله أمثاله فإن الله يقول : ((**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ**))[88] ، ورآها القرطبي تعليلاً بقوله :« كي ترجعوا إلى عظمتي وربوبيتي ولا تتخذوا من دوني أولياء »[89] .

والأمر اللافت للنظر ما رآه ابن الجوزي في تفسير هذه العبارة الواردة في سورة البقرة الآية 266 ، وقد اعتمد على آراء مجموعة من العلماء ، فقال : « قوله تعالى : (كذلك يبين الله) قال الزجاج : إنما قال (كذلك) وهو يخاطب جماعة لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال : كذلك يا أيها القبيل ، وجائز أن تكون الكاف للنبي (صلى الله عليه وسلم) كأنه قال : كذلك يا أيها النبي لأن الخطاب له مشتمل على خطاب أمته ، وقال ابن الأنباري الكاف في (كذلك) إشارة إلى ما بيَّن من الإنفاق فكأنه قال : مثل ذلك الذي بينه لكم في الإنفاق يبين الآيات ويجوز أن تكون كذلك غير إشارة إلى ما قبله فيكون معناه هكذا قاله ابن عباس ... »[90] .

ولعلَّ ما خرج من آراء من لدن العلماء الأجلاء في (كذلك) دلالة على محورية هذه الكلمة في النص واثرائه بدلالات متنوعة ما كان يعطيها لفظ آخر لو حلَّ مكانه .

ووجد السيد الطباطبائي في تفسيره قوله تعالى : ((**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**))[91] . إن قوله (ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ) ، وكذا في قوله (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ) فيه نوع من الالتفات ، ورجوع من خطاب المؤمنين إلى خطاب النبي (ص) ، وعلل النكتة في ذلك بقوله : « ولعلَّ النكتة فيه أنَّ الجملتين جميعًا من البيان الإلهي للناس إنما هو بواسطة النبي (ص) فكان في ذلك حفظاً لمقامه (ص) في بيان ما أوحى إليه للناس كما قال تعالى : ((**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**))[92] ، وأعقب ذلك تفسير قوله تعالى ((**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)) ، أي يبين لكم بواسطة نبيه أحكامه لعلكم تشكرون بتعلمها والعمل بها »[93] .

وتنبه الشوكاني في تفسيره إلى دلالة تكرار عبارة (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ واللهُ عليمٌ حكيْمٌ) في آيتين متتاليتين في سورة النور ، وهما الآية 58 ، و 59 ، فوجدها للتأكيد[94] .

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة التكرار في العبارة التي ضمَّت (كذلك) في بنائها لم تكن على صعيد هذه العبارة فحسب ، وإنما على العبارات السابقة الذكر ، وهذا دليل على أنها تشكل مفصلاً مهماً ينبغي أن لا يهمل في بناء السورة ، ومرتكزاً واضحاً فيها له دلالته الخاصة به .

وإذا ما أعطى (كذلك) مع الفعل يبين هذه الدلالات فإنه لم يختلف في دلالته مع الفعلين (نفصل ، نصرف) في قوله تعالى : ((**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**))[95] وقوله ((**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**))[96] ، و قوله ((**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**))[97] ، و قوله ((**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكرونَ**))[98] . فقد وردت هذه العبارات أيضاً في سياق تفصيل الآيات وتصريفها للناس كيما يعقلوا ويعلموا ويشكروا على نعم الله جل وعلا التي بلغها إليهم عن طريق رسوله الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

5- ومن سياقات (كذلك) ورودها مع الفعل (يطبع) ، و (يختم) المسند إلى الله تعالى على قلوب الكافرين ، أو الظالمين ، أو المتكبرين ، أوالجبارين في الأرض ، وجاءت لبيان فعل الله في هؤلاء الذين عصوا واستكبروا في الأرض لتكون مثالاً تحذيرياً لكل من يريد أن يفعل فعلهم في المستقبل ، فالأقوام الذين عصوا وأسرفوا في عصيانهم كقوم موسى (عليه السلام) وغيرهم فاستحقوا الطبع على القلوب ، وكذلك الختم عليها جزاءً على أفعالهم ، وكما فعل الله بهم سيفعل بكل من يعصي أو يستكبر من قوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا الأمر يوضحه تفسير الطبري للآية ((**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**))[99] ، فقال : « فإنه يقول تعالى ذكره : كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الأمم التي قصصنا عليك نبأهم يا محمد في هذه السورة ... حتى جاءهم بأس الله فهلكوا به ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبداً من قومك »[100] .

وكذلك ما ذهب إليه في تفسير قوله تعالى : ((**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**))[101] : « يقول تعالى ذكره : كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات ، والآيات البينات ، فلا يفقهون عن الله حجة ، ولا يفقهون ما يتلو من آي كتابه ، فهم لذلك في طغيانهم يترددون »[102] ، ونلحظ تناوب (الطبع) ، و (الختم) في المعنى من خلال هذا التفسير ، ويعلل الطبرسي طبيعة الطبع لله تعالى في إطار تفسيره قوله تعالى : ((**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**))[103] ، فقال : « قيل : إن الله سبحانه شبه الكفر بالصدأ لأنه يذهب عن القلوب بحلاوة الإيمان ، ونور الإسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ، ولما صاروا عند أمر الله لهم بالإيمان إلى الكفر جاز أن يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال : ((**فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ**))[104] وإن كانت السورة لم تزدهم ذلك » ، ثمَّ قال : « ووجه الشبه في الكاف ، ومعناه : إن دلالته على أنهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم ، وقيل : معناه كما دل الله لكم بالإخبار على أنهم لا يؤمنون فكذلك يدل للملائكة بالطبع على أنهم لا يؤمنون »[105] .

وذهب الشوكاني في تفسيره الآية السابقة إلى القول : « أي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين فلا ينجع فيهم بعد ذلك وعظ ولا تذكير ولا ترغيب ولا ترهيب »[106] .

كما ذهب في تفسير قوله تعالى : ((**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**))[107] إلى أنها (أي كذلك) أداة تشبيهية ، فقال : كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يطبع أي يختم على كل قلب متكبر جبار[108] ، والواضح تناوب الطبع والختم في توضيح المعنى وتفسيره .

وأشار السيد الطباطبائي إلى المعنى المتضمن للطبع والختم في الآيات الواردة في القرآن بقوله : « ... ان الطبع والختم الإلهي إنما هو عن جرم سابق دنيوي ، وليس مجرد سبق التكذيب في الميثاق ينتج الطبع الابتدائي في الدنيا فإنه مما لا يليق به سبحانه البتة ، وقد قال : ((**يضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ**)) »[109] .

6- ومن السياقات الأخرى المرصودة وقوع (كذلك) في بداية سورة الشورى ، وذلك في قوله تعالى : ((**حم . عسق . كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[110] . نجد أن لفظة (كذلك) دخلت في تركيب جديد منفرد ، فضلاً عن كونها أداة تشبيه ، إذ إن هذا التركيب جاء بعد فاتحة السورة المباركة (حم عسق) كأنه تفسير لهذا اللفظ القرآني المعجز .

وبهذا الصدد يرى الشيخ الطوسي أنَّ (كذلك) أفادت معنى التشبيه و فسرمعنى وقوعها في بداية الآية بانه كالوحي الذي تقدم يوحى إليك أخبار الغيب وما يكون قبل أن يكون وإلى الذين من قبلك من الأنبياء ... أي إنه هذا اللفظ أفاد التشبيه من حيث أن الوحي بعضه كبعض في أنه حكمة وصواب بما تضمنه من الحجج والمواعظ والفوائد[111] .

وإلى ذلك ذهب السيد الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية : « كذلك إشارة إلى الوحي لا من حيث نفسه بل من حيث ما يشتمل عليه من المفاد فيكون في الحقيقة إشارة إلى المعارف التي تشتمل عليها السورة »[112] .

بينما راى الشوكاني أنَّ (كذلك) هو بداية كلام مستأنف غير متعلق بما قبله أي مثل ذلك الإيحاء الذي أوحي إلى سائر الأنبياء من كتب الله عز وجل المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث[113] .

وينفرد الآلوسي عن الآخرين في رأيه بهذا التركيب ، إذ يقول : « إنه أفاد التغليب ، فإن الوحي إلى ما مضى وإليه عليه الصلاة والسلام بعضه ماض وبعضه مستقبل ... ومضمون السورة أو إيحائها مشبهاً به من تفخيم ... »[114] .

وذهب النحاس إلى القول أن قوله عز وجل (كذلك يوحي إليك) الكاف في موضع نصب لمصدر محذوف تقديره وحياً مثل ذلك يوحي الله إليك ، تقدير فيه التأخير بعد يوحى واسم الله تعالى (فاعل)[115] .

7- ومن السياقات الأخرى التي رصدت في قوله تعالى : ((**سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ**))[116] .

وردت هنا في هذه الآية الكريمة لفظة (كذلك) بصيغة الجمع (كذلكم) ولم تتكرر مثل هذه الصيغة في القرآن إلا في هذه الآية المباركة ، وقد أشار الطبري إلى أنه خطاب خاص لهؤلاء المخلفين عن المسير مع الرسول (ص) فلن يتبعوهم إذا أرادوا السير إلى خيبر لقتالهم كذلكم قال الله من قبل ...[117] .

ووافقه في ذلك الشيخ الطوسي في تفسيره لهذه الآية في قوله تعالى : « (**يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) قُل** لهم يا رسول الله (**لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ**) »[118] . فجاءت هذه الصيغة لتدل على دلالة جديدة هي إشارة وأمر إلهي خاص لهؤلاء القوم الذين تخلّفوا عن طاعة الرسول والسير معه للحرب ، وبذلك خرجت عن كونها أداة تشبيه أو مثل إلى صيغة أُريد بها الأمر والنهي عن فعل نهاهم عنه الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم (ص) .

8- ومن السياقات الأخرى وقوعها بمعنى (أيضاً) ، وأشار الدكتور فاضل السامرائي إلى هذا السياق وقال : « ومن هذا فيما يبدو لي قوله تعالى : ((**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ . كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**))[119] فلا أرى في هذا معنى التشبيه ، وإنما المعنى كما يبدو : وزوجناهم بحور عين أيضاً ، وإن كان المفسرون يرون أن المعنى على التشبيه ، وإن المعنى أن يكون الأمر كذلك وزوجناهم بحور عين »[120] .

والواضح أنَّ السامرائي خالف المفسرين أو فلنقل أنه رأى تفسيراً جديداً لسياق هذه اللفظة لم يلتفت إليه من جاء قبله ، وعلل الأمر بقوله : « والظاهر أن معناها – ويقصد كذلك – القديم يفيد التشبيه لأن طبيعة تركيب العبارة تدل على ذلك ثم انتقل إلى معنى أيضاً ، والتراكيب قد تنتقل معانيها .... والذي سهل انتقال معناها أن كثيراً مما يفيد التشبيه تتضمن معنى أيضاً »[121] .

الخاتمة :

من خلال مسيرة البحث يمكن تسجيل مجموعة من النقاط توصل إليها ، وهي على النحو الآتي :

1. لفظة (كذلك) من الألفاظ المهمة التي وظفها القرآن بشكل مثير للالتفات ، وقد حملت مجموعة من الدلالات في التعبير القرآني وخرجت عن كونها مجرد لفظة في السياق إلى كونها مشكلّة لمعنى السياق المرتبطة به .
2. حملت (كذلك) معانيَ مكتنزة في ذاتها مشعة في السياق العام ، فضلاً عن عمل أداة التشبيه (الكاف) فيها ، فإن لاسم الإشارة المركب دوراً مهماً في تشكيل المعنى والإحالة إليه ، وقد عملا معاً في سياقات متعددة لإعطاء أكثر من معنى للسياق .
3. كان للمفسرين دور مهم في تحديد السياقات الدلالية لكذلك في القرآن الكريم وأعطوها اهتماماً وإن لم يكن كبيراً قياساً إلى كثرة ورود (كذلك) فيه إلا أنه كان أكبر من اهتمام النحاة والبلاغيين فيها الذي جاء مقصوراً على كونها متكونة من حرف تشبيه واسم إشارة مركب .
4. أشار المفسرون إلى الدلالة العامة لكذلك وهي دلالتها على التشبيه والتمثيل فضلاً عن خروج هذه الدلالة إلى معان متعددة يحتملها السياق ، فضلاً عن تعاملهم معها على أساس كونها لفظة واحدة تدل على تلك المعاني من جهة ومن جهة أخرى يتعاملون معها على أساس التركيب . ومن تلك النظرات خرجنا بتوجيهات سياقية تضمنت مضامين تلك السياقات منها لإزالة التعجب والاستغراب، وسياق الجزاء الإلهي جزاء المحسنين وجزاء الظالمين وغيرهم ، ووقوعها أداة تشبيهية رابطة بين صورتين الأولى مفصلة والأخرى مختزلة ، وغيرها من السياقات التي رصدت وفصلت في البحث .

وأخيراً نحمد الله العلي القدير على توفيقه لإتمام هذا البحث الذي رجونا به القربة منه وشكره ، راجين المثوبة على عملنا الذي أخرجناه على وفق ما أعطانا الله من علم ، وحسبنا أننا بشر نسعى جاهدين لبلوغ الكمال ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هوامش البحث :

(1) ينظر: منهج البحث اللغوي :185.
(2) ينظر:مباحث في علم اللغة و اللسانيات :181.
(3) ينظر: شرح ابن يعيش : 3 / 135 ، وهمع الهوامع : 1 / 76 ، والنحو الوافي : 1 / 322 ، ومعاني النحو : 1/ 82 .
(4) النحو الوافي : 1 / 325 – 326 .
(5) شرح ابن الناظم : 32 ، وينظر : شرح الرضي على الكافية : 2 / 34 .
(6) معاني النحو : 1 / 84 .
(7) م . ن : 1 / 92 .
(8) سورة مريم : 21 .
(9) سورة الفتح: 15 .
(10) معاني النحو : 1 / 92 .
(11) سورة الشعراء: 74 .
(12) سورة الدخان : 51 – 54 .
(13) معاني النحو : 1 / 98.
(14) م . ن : 1 / 99 .
(15) سورة آل عمران : 47 .
(16) سورة مريم : 20 – 21 .
(17) مجمع البيان : 2 / 296 .
(18) جامع البيان : 3 / 372 .
(19) م . ن : 16 / 78 .
(20) الميزان : 3 / 197 .
(21) م . ن : 3 / 178 .

(22) سورة آل عمران : 40 .
(23) سورة مريم : 8 – 9 .
(24) جامع البيان : 16 / 65 .
(25) مجمع البيان : 2 / 288 – 289 .
(26) الكشاف : 1 / 317 .
(27) م . ن : 3 / 95 .
(28) الميزان : 14 / 17 .
(29) م . ن .
(30) الفتح القدير : 3 / 323 .
(31) م . ن : 3 / 328 .
(32) سورة الذاريات : 24 – 30 .
(33) التبيان : 9 / 388 .
(34) مجمع البيان : 9 / 263 .
(35) جامع البيان : 27 / 3 .
(36) الميزان : 18 / 378 .
(37) وردت في سورة الصافات خمس مرات في الآيات 105،80، 110، 121، 131، وفي سورة المرسلات :44.
(38) سورة الصافات : 120-121.
(39) التبيان : 8 / 522 .
(40) سورة الصافات : 79 - 80.
(41) جامع البيان : 23 / 81 .
(42) سورة الصافات : 104 – 105 .
(43) جامع البيان : 23 / 95 .
(44) الميزان : 7 / 146 .
(45) م . ن : 17 / 153 .
(46) سورة المرسلات : 41 – 44 .
(47) ينظر : الميزان : 20 / 155 .
(48) سورة القمر : 35 .
(49) سورة النحل : 31 - 32 .
(50) سورة يونس :13.
(51) التبيان : 9 / 281 .
(52) مجمع البيان : 9 / 151 .
(53) الجامع لأحكام القرآن : 16 / 208 .
(54) سورة يونس : 13 .
(55) التبيان : 5 / 348 .
(56) جامع البيان : 11 / 123 .
(57) مجمع البيان : 5 / 164 .
(58) الميزان : 18 / 212 .
(59) م . ن : 10 / 23 .
(60) سورة يوسف:75.
(61) التبيان : 6 / 173 .
(62) سورة الأنبياء : 29 .
(63) التبيان : 7 / 242 .
(64) سورة البقرة: 191 .
(65) سورة فاطر : 36 .
(66) سورة المرسلات : 18 .
(67) سورة الصافات: 34 .
(68) سورة ق : 6 – 11 .
(69) جامع البيان : 26 / 198 .
(70) تفسير ابن كثير : 4 / 237 – 238 .
(71) الفتح القدير : 5 / 73 .

(72) تفسير القمي : 2 / 323 .
(73) الجامع لأحكام القرآن : 17 / 7 .
(74) سورة الزخرف : 11 .
(75) التبيان : 9 / 185 .
(76) الميزان : 18 / 87 .
(77) سورة فاطر : 9 .
(78) ينظر : الفتح القدير : 4 / 340 .
(79) تفسير الجلالين : 572 .
(80) الدر المنثور : 5 / 245 .
(81) الميزان : 17 / 31 .
(82) تفسير ابن كثير : 3 / 556 .
(83) سورة البقرة : 242 .
(84) جامع البيان : 2 / 792 .
(85) الجامع لأحكام القرآن : 12 / 319 .
(86) التبيان : 2 / 281 .
(87) سورة البقرة :242.
(88) الدر المنثور : 1 / 341 و الآية في سورة العنكبوت :43 .
(89) الجامع لأحكام القرآن : 3 / 320 .
(90) زاد المسير : 1 / 220 .
(91) سورة المائدة:89.
(92) سورة النحل : 44 .
(93) الميزان : 6 / 111 – 112 .
(94) ينظر : الفتح القدير : 4 / 52 .
(95) سورة الروم :28.
(96) سورة الأعراف :32.
(97) سورة يونس :24.
(98) سورة الأعراف : 58.
(99) سورة الأعراف :101.
(100) جامع البيان :16/9.
(101) سورة الروم :59.
(102) جامع البيان :70/21. .
(103) سورة الأعراف :101.
(104) سورة التوبة :125 .
(105) مجمع البيان : 4 / 317 .
(106) الفتح القدير : 2 / 229 .
(107) سورة غافر :35.
(108) الفتح القدير : 4 / 492 .
(109) الميزان : 8 / 208 ، والآية من سورة البقرة : 265 .
(110) سورة الشورى : 1 – 3 .
(111) ينظر : التبيان : 9 / 37 .
(112) الميزان : 18 / 9 .
(113) ينظر : الفتح القدير : 4 / 525 .
(114) روح المعاني : 10/25-11.
(115) معاني القرآن : 3 / 292 .
(116) سورة الفتح : 15 .
(117) جامع البيان : 26 / 106 .
(118) التبيان : 9 / 322 .
(119) سورة الدخان : 51 – 54 .
(120) معاني النحو : 1 / 98 – 99 ، أشار من جملة المفسرين إلى الزمخشري في الكشاف : 3 / 111 .
(121) م . ن .

ثبت المصادر و المراجع :

- **القرآن الكريم.**
- **التبيان في تفسير القران** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460هـ) تحقيق وتصحيح : احمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، د.ط.ت .
- **تفسير الجلالين** ، تفسير الإمامين الجليلين : جلال الدين محمد بن احمد المحلي ،و جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، قدم له وراجعه : مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ط.ت .
- **تفسير القمي** ، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي من أعلام قرني 3-4هـ، صححه وعلق عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة و النشر ، قم ، ايران ،د.ط.ت .
- **تفسير القران العظيم** ،ا سماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي المعروف بابن كثير(ت774هـ)، دار إحياء الكتب العربية ، البابي الحلبي وشركاءه ، مصر ،(د.ت) .
- **جامع البيان عن تاويل أي القران**، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) ، المطبعة الأميرية بولاق ، 1323هـ.
- **الجامع لأحكام القران** ، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ) ط2 ، مطبعة دار الكتب المصرية (1352هـ - 1953م) .
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت911هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، د .ط. ت.
- **روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني** ،أبو الفضل شهاب الدين السيد الالوسي البغدادي (ت 1270هـ) إدارة المطبعة المنيرية ، مصر ، 1353 محمود هـ .
- **زاد المسير في علم التفسير** ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ت 597هـ ،حققه وكتب هوامشه : محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، د.ط.ت .
- **شرح ألفية ابن مالك** ،بدر الدين محمد بن جمال الدين بن محمد بن مالك ، (ابن الناظم) (ت 686 هـ) ، عني بتصحيحه وتنقيحه محمد سليم اللبابيدي ، (د.ت) .
- **شرح المفصل** ،وفق الدين بن يعيش النحوي (ت 643هـ) مطبعة عالم الكتب ، بيروت (د.ت) .
- **شرح كافية ابن الحاجب** ،رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 686 هـ) ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه ، الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419 هـ - 1998 م .
- **الفتح القدير (الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير) ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ) ، عالم الكتب ، بيروت، د.ط.ت .**
- **كتاب الكافية في النحو** ، جمال الدين ابو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (ت 646هـ) ،شرحه اشيخ محي الدين بن الحسن الاستربادي (ت 686 هـ) دار الكتب العلمية بيروت -لبنان .
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل**، جارالله محمود بن عمرو الزمخشري (ت 538 هـ) دار الكتاب العربي بيروت -لبنان (د.ت) .
- **مباحث في علم اللغة و اللسانيات**، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2002م .
- **مجمع البيان في تفسير القران**، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ) وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان 1379 هـ .
- **معاني القران الكريم** ، أبو جعفر النحاس ت 338هـ تحقيق : محمد علي الصابوني ، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي ، السعودية ، د.ط.ت .
- **معاني النحو** د. فاضل السامرائي ، ط2، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، الاردن ،1423هـ - 2003م.
- منهج البحث اللغوي **بين التراث و المعاصرة** ، د.علي زوين ،ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986م.
- **الميزان في تفسير القرآن** , محمد حسين الطباطبائي، ط3 ، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت ،1984.
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : احمد شمس الدين ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1418 هـ - 1998 م .